

الترجمة بين الالتزام الأخلاقي و انحرافات النفوذ و المصالح : قراءة في بعض النماذج التاريخية

Translation between ethical commitments and derivations of influence and interests: a perusal of some historical samples.

حنيفي مصطفى¹

جامعة معسكر (الجزائر)، mustapha.hanifi@univ-mascara.dz

تاريخ النشر 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/25

تاريخ الاستلام: 2025/02/28

ملخص:

تخضع الترجمة إلى جملة من المبادئ والقيم تقيد ممارستها في ظل ظروف وسياقات متعددة، فالترجمة كغيرها من الوظائف والمهن تختمل وجود ضغوطات كبيرة ومعوقات جمة وأخطار شتى قد يصعب على المترجم تحملها أحيانا كثيرة. وعلى الرغم من ذلك كله يُطالب المترجم في الظروف كلها بأن يتحلى بالأخلاق العامة التي شبَّ عليها من تعاليم دينية سمحة وعرف اجتماعي جمعي تُنصَّب بها حدود ممارسته، وتُعلَّم بها تحوم تكييف المنجز اللغوي والتصرف فيه. وينبغي على المترجم في الوقت نفسه أن يلتزم بجملة من الأخلاقيات الخاصة التي تُعنى بها مهمته، التي هي بمثابة الدافع له والمحفز في إنجاح وساطته اللغوية والثقافية على نحو لا يشكو القصور أو العوج. ويشهد تاريخ الترجمة العريق على العديد من عثرات المترجمين والتراجمة وزلاّتهم إلى حد أن بعضها صُنِّف في خانة المهازل التي لاحقت أصحابها والقائمين عليها لسنين عديدة وأزمنة مديدة بوصفهم شاركوا إما في نشر أفكار عنصرية أو عدائية، أو التأسيس لمذاهب نرجسية تتجه نحو محو الآخر واستملاكه، أو حتى في تذكية نار الفتن والحروب بإطالة عمر الأزمات بأنواعها، وهو ما جعل من الترجمة وسيلة لتحقيق مآرب معينة، والمترجم أداة لتجسيد ذلك القصد واقعا لا افتراضا ومأزبة لا حفاوة، لتحيد الترجمة عن مهامها النبيلة في رأب الصدع بين الثقافات الإنسانية ورتق الفتق بين المجتمعات البشرية في إطار ثنائية الأخذ والعطاء، وما تحتمله من مخرجات العيش المشترك.

من هذا المنطلق، جاءت هذه الورقة البحثية لتتناول إشكالية التزام المترجم بالأخلاقيات العام منها والخاص، ودورها في تقنين عمله وضبطه أمانة وجودة على حد سواء بعرضنا لنماذج تاريخية نحاول فيها توثيق درجة هذا الالتزام

¹ المؤلف المرسل: حنيفي مصطفى

ومداه، وتبيان تأثيره على مخرجات الفعل الترجمي عموماً، خاصة تلك الممارسات اللاأخلاقية التي تسببت في حدوث أزمات، وأدت إلى وقوع أضرار كان لها الأثر البالغ على أفراد وشعوب ومنظومات بكاملها.

الكلمات المفتاحية: ترجمة؛ أخلاقيات؛ أزمات؛ التزام؛ نماذج تاريخية.

Abstract:

Translation practitioners are guided by principles and norms in different situations and contexts. Translation, like any other profession, entails many pressures, countless difficulties, and giant risks that the translator may find difficult to carry out several times. Despite this, the translator must always follow the general ethics that stem from tolerant religious teachings and collective social customs and traditions so that he is able to define the limits of his practice and draw the boundaries of adapting and disposing of his linguistic achievement. Simultaneously, the translator must adhere to a set of particular ethics that involve his mission, which serves as a reason and motivation for him to achieve his linguistic and cultural mediation without flaws or distortions. Unfortunately, the long history of translation testifies to numerous stumbles and mistakes of translators and interpreters, in so far as some of them were classified as a shame, pursuing their owners and those in charge of them for many years and long periods, as they participated either in spreading racist or hostile ideas or in establishing narcissistic doctrines that tend to blur the others identity and strive to control them by all means or even to stoke the fire of sedition and wars by extending the life of crises, the fact that pushed the translators, either by consent or by force, to play abominable roles in concretising perverse intentions. Consequently, translation deviated in many circumstances from its noble tasks of healing the rift between cultures and making bridges between human societies within the context of cooperation and coexistence. From this standpoint, this research paper came to address the issue of the translator's commitment to ethics, both general and specific, and its role in regulating his work and controlling its integrity and quality, by presenting historical models in which we attempt to document the degree and extent of this commitment and to clarify its impact on the outcomes of the translation act in general, especially those unethical

practices that caused crises and led to damages that had a deep impact on individuals, peoples, and entire systems.

keywords: translation; ethics; crises; commitment; historical models.

1. مقدمة:

من البديهي أن تخضع مهنة الترجمة كغيرها من المهن الأخرى إلى جملة من المبادئ والأخلاقيات الشاملة التي من الواجب الالتزام بها. فالترجمة أكثر المهن تطلبا للتحلي بالأخلاق العامة لأنها مسؤولية حضارية تجمع بين ثقافات وعقول وألسن مختلفة ومتمايزة، وبالتالي فهي توجب على ممارسها أن يقدر عظم هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه، حتى وإن كان ذلك صعبا للغاية. إذ يبقى اتصافه بالأخلاق الراقية والتزامه بأخلاقيات مهنته ضامنا كفيلا في نجاح مهمته بنسبة كبيرة.

وانطلاقا من هذه الرؤية، نسعى في ورقتنا البحثية أن نتناول مسألة مدى الالتزام بجملة الأخلاقيات العامة منها والخاصة معتمدين في الوقت نفسه على نماذج تاريخية تثبت زلات وعثرات لم تراعى فيها هذه الأخلاقيات مما انعكس على الصورة المثلى للترجمة والتي من المفروض أن تؤدي مهامها في سياق احترام الشعوب والأديان والحريات والخصوصيات الثقافية. وهو الأمر الذي نحسبه مفيدا لتحسيس المترجمين بمدى أهمية التحلي بروح المسؤولية والتزام الأمانة واكتساب حس وضمير مهني يفرق كل الفرق أثناء أداء هذه الوظيفة الحضارية.

فمن المفترض أن الترجمة ليست أداة لنقل أي شيء مهما كانت طبيعته من دون أن تخضع لميزان القياس والتمحيص، فكثيرا ما كانت هذه المهنة سدا منيعا وحاجزا صلبا أمام أطماع كثيرة سعت لفرض منطق أو فكر أو دعاية لسلطان ملك أو حاكم تحت ظروف ومغريات عديدة، إلا أنها وفي حالات كانت و للأسف أداة ناجعة لإخضاع الشعوب وتقويض إرادتها و سلب حريتها؛ فعلى الرغم من وجود الصفة الأخلاقية والإقرار بها في الترجمة بشكل عام، إلا أنه من الصعب أبدا تحديد معالم سيرها بشكل ثابت وواضح. وهذا راجع أساسا لخضوع الترجمة لأهداف و سياقات و تيارات و إيديولوجيات قد تكون متضاربة ناهيك عن أمور تتعلق بصراع المصالح التي قد تفعل فعلتها بتوجيه المترجم طوعا أو كرها لخدمه أجندتها.

2. في أخلاقيات الترجمة و آدابها العامة:

إن تناولنا لمسألة أخلاقيات الترجمة، لا ينبغي حصره فقط في تلك النصوص و القوانين و المبادئ التي تنظم المهنة، و إنما الأخلاقيات هي كذلك مجموعة السلوكيات الواعية و التصرفات المضبوطة التي على أساسها تتجلى مصداقية المترجم و عمله على حد سواء. كما أن مسألة الأخلاقيات مرتبطة في نظرنا بالأخلاق العامة للمترجم أساسا و ظروفه و تربيته و منشأه (الحارثي، 2019). إذ لا يمكن لتلك النصوص والتنظيمات و المبادئ المعلنة و المتفق عليها من قبل الممارسين أن ترقب عمله إذ لم يترافق ذلك مع خلفية اجتماعية متينة تتمثل أساسا في الإعداد الأسري الحسن و الذي يتضمن كذلك الوازع الديني و الرابط الثقافي و الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع أو الأمة ككل. فالحديث عن الأخلاقيات لا يتم بمعزل في نظرنا عن الأخلاق العامة التي تعتبر وعاء جامعاً لتلك الأخلاقيات؛ فلا يمكن أن تتجسد السلوكيات الواعية و المضبوطة في أي مجال مهني كان لو لم يتحلى صاحبه بالصدق و التواضع و نكران الذات و الالتزام الشخصي و الضمير الذي لا يأتي من تلقاء نفسه بل يعود أساسا إلى تربية تشرّبها منذ طفولته و نمت و ترسخت حتى انعكست على ما يقوم به في رشده.

و بالتالي فإن مسألة الأخلاقيات بالنسبة لنا لا بدا لها من دعامة نعزوها إلى جملة الأخلاق العامة المتعلقة بالمترجم و التي تفعل العمل وفق الأخلاقيات و الالتزام بها. و بناءً على هذا، تتمحور نظرنا لمسألة الأخلاقيات في شقين متكاملين ، أو بالأحرى يكون الثاني، أي الأخلاقيات (Ethics) إمتدادا منطقيا للأول المتمثل في الأخلاق و الآداب العامة (Morales):

1.2. أخلاق المترجم الشخصية و انعكاسها على أخلاقياته المهنية:

من المؤكد أن المقصود بأخلاق المترجم الشخصية هي الجانب الأخلاقي التربوي المتعلق بالمترجم وهو المرتبط بجملة الأخلاق العامة التي تعد الركن أو الأس المهم في معادلتنا الأخلاقية؛ فالصدق و الالتزام و الوفاء بالعهد هي أخلاق ينبغي أن يتصف بها الإنسان حتى قبل أن تلزمه مجموعة الضوابط والأخلاقيات المهنية، بل إنها تدفعه دفعاً للحرص على الالتزام بآداب المهنة و مبادئها. و بالتالي، فإن أخلاقيات المهن كافة تنبني أساسا من جملة الأخلاق الحميدة الطيبة المستحسنة (أحمد، 2011) من قبل المجتمعات على اختلاف مرجعيتها و أديانها، و هي تستهجن و تقوم كل سلوك يناقض منطقها الذي بنيت عليه؛ و هذه السلوكيات و الأمراض الأخلاقية نجدها تؤثر و بشدة

على مصداقية كل مهنة تتعامل مع شرائح كبيرة من الناس و تقدم خدماتها على أساس من الثقة: فالكذب، و النفاق و التملق و السرقة و الحسد و التأمر و إفشاء الأسرار و نقض العهود هي الدافع اليوم للكثير من أصحاب المهن و الحرف المختلفة لينشئوا تلك المنظومات الأخلاقية المصغرة لضبط ما ينبغي أن يتحلى به الممارس لتلك الحرف والمهن. فالمرجم إنسان يؤثر و يتأثر في أسرته و مجتمعة و وطنه و ليس كل إنسان كامل من حيث أخلاقه، فالكمال صفة الربوبية. لذلك فأن ضوابط المهنة الأخلاقية في الترجمة تقوم بتأطير و تحديد سلوكيات و تصرفات المترجم من منطلق الأخلاق و الآداب العامة الإيجابية و المنبثقة من الفطرة الحسنة السليمة. و بالتالي فإنها تمنع الانحرافات و السلوكيات التي قد تأتي من المترجم بل و تحاسبها و تخضعها للمساءلة و العقاب أحيانا. و من الأخلاق الواجب أن يحرص عليها المترجم أثناء ممارسته لمهنته تلك التي تعكس مصداقيته بالدرجة الأولى. فنجد أنه ينبغي عليه أن يكون صادقا (الحارثي، 2019)، فضفة الصدق منافية للكذب، وهي، إذا، تفرض على المترجم أيا كانت مهامه أن يلتزم الصدق في العمل و في نقل المعلومة من دون تشويه لها و لا تحريف. كما أن احترافية الترجمة لا تحتل أن يتصف المترجم بعدم النزاهة في تعامله، و تقديم المصالح الشخصية و المنافع لطرف على حساب آخر، ضاربا بذلك القيم الأخلاقية التي يعرفها جيدا و تربي في كفلها. و الصدق في العمل هو كذلك صدق مع الذات (بيكر، 2006)، فلا ينبغي للمترجم أن يتحمل مهام و مسؤوليات تفوق قدراته و إمكانيته لمجرد مكاسب يريد أن يتحصل عليها بالبهتان، بل أن المترجم مطالب بأن يلتزم الصدق و الصراحة مع الذات مقتنعا بما لديه من إمكانيات و طامحا في تطويرها باكتساب الخبرة و الدربة مع الوقت. فالمترجم مطالب بأن يقوم بالمهام التي يستطيع أن ينجزها بالصورة الملائمة في أجالها المناسبة وفق تواريخ استحقاقها.

و الصدق يفترض خلقا رفيعا آخر مهم في عمل المترجم ألا وهو الأمانة التي تتعارض مع الكثير من السلوكيات السيئة و الضارة بكيان المترجم و مهنته (نيومارك، 1982، Newmark). فالأمانة ضد الخيانة، وهي بهذا المعنى أن يكون المترجم جديرا بما يستأمنه الناس عليه من أسرار و وثائق ومعلومات قد لا يعلم عنها أناس آخرون. فليس من الأخلاقي في شيء أن يفضح المترجم أسرار زبائنه أو يكشفها لأي طرف كان مهما كان مقابل ذلك. لهذا نجد أن القانون لا يتسامح مع هذه المسألة بالذات و يشرع لها عقوبات قاسية. و الأمانة كذلك التزام و حياد في

نقل النص (نيدا، 1964، Nida)

و يعد الإلتقان سمة أخرى من السمات الأخلاقية عند المترجم الأمين، فعلاوة عن كونه مهارة ينبغي اكتسابها، فهو انعكاس لقوة داخلية تدفع للعمل بتفان و جهد لتحقيق إنتاج ينال الرضى من جميع الأطراف. و هو شكل من أشكال الاتزان و الثقة في النفس.

و الإلتقان في العمل هو أحد أوجه الإخلاص الذي يمثل دافعا و حافزا للمترجم حتى يجيد عمله و يتحمل متاعبه و عقباته. وإخلاص المترجم في عمله، دليل على استقامته وعدم رضوخه لأسباب و عوامل الفساد و التلاعب و الانحراف عن منطق و شرف المهنة.

و خلاصة لما ذكرناه، يمكن القول بأن أخلاقيات الترجمة، كغيرها من أخلاقيات المهن الأخرى، ما هي إلا امتداد للأخلاق الرفيعة و السامية، التي تتجسد في تلك السلوكيات الإيجابية أثناء تأدية المهام. و ما تلك النصوص و القوانين و المبادئ المتعارف عليها في باب توجيه عمل المترجم، إلا تجسيد لروح تلك الأخلاق و المبادئ العامة التي تتنافى مع أي سلوك شائب من شأنه أن يضر بكيان مهنة الترجمة التي تفترض تأقلمًا مع جميع الظروف و ثباتًا ضد كل أشكال الضغط و المساومات النابعة من مصالح و توجهات مختلفة.

3. الفعل الترجمي بين الالتزام المهني و التأثير الأيديولوجي:

تصطدم المسألة الأخلاقية في الترجمة في حالات كثيرة مع متغيرات عديدة مرتبطة بالهدف من النص المترجم و ما يحيط به من تجاذبات و مصالح تتعلق بالجهات الراغبة في الترجمة من دور نشر أو مؤسسات أخرى ذات توجهات مختلفة. حيث يشدد بيتر نيومارك (1982) في هذا الصدد على أن يلتزم المترجم و في كل الظروف ببذل أقصى جهده للحفاظ على حياده في عمله، و غضُّ النظر عن اختلافه مع محتوى النص الأصلي أو اتفاقه معه تحت أي مسمى. و هذا، حسب كافة أنصار الاتجاه اللغوي (فرغل، 2015)، كفيل بأن يغني المترجم عن الانسياق وراء أفكاره الشخصية أو أفكار أي جماعة أو قومية أو جهة أو تيار كان، ما يعني عدم تغيير مواقف معينة في النص الأصل لحساب النص المستهدف. و لكن يقابلُ رأيٌ آخرٌ موقفَ نيومارك الذي لا يُحْمِلُ المترجم، المكتفي أصلا بعملية النقل البحتة، دورا يفوق حدود عمله. إذ تشهد دراسات الترجمة تحولا مشهودا، فيرى البعض أن المترجم مدعو للمشاركة الفعلية في عملية إنتاج النص و تحريره (باسنت 1996، Bassnett). و هذا يعني إعطاء أولوية

كبيرة للغرض من النص المترجم، و بالتالي منح المجال للمترجم للتدخل أكثر في النص الأصل و وفقا للمصلحة المبتغاة في النص الهدف (ميسون 1994، Mason). و هنا تُكَيَّف الأمانة التي كانت مرتبطة بالنص الأصلي نحو النص الهدف و الأهداف المتصلة به. و هذا من شأنه أن يفتح الترجمة على إيديولوجيات مختلفة و كثيرة نظرا لتعدد مصالح الأطراف المشاركة فيها من نقاد و ناشرين و محررين و غيرهم من الجهات المستفيدة من الترجمة. و بهذا يمكن القول بأن المسألة الأخلاقية في الترجمة تتأرجح بين مفهومي النقل الحيادي و التصرف في مضامين و محتويات النصوص، و هو الموقف الذي يعبر عنه دارسون كثير.

و الأكيد هنا أن المقصود بالتصرف لا يعني التطويع الداخلي للنص و إنما التلاعب و التحريف الأيديولوجي للنص الأصلي (فرغل، 2015)؛ فإذا كان التصرف الداخلي (Intrinsic Managing) (يعني أن يغير المترجم في النص المترجم من أجل تكيف الاختلافات بين اللغة الأصل و اللغة الهدف، فهذا تغيير لا بدا منه لتفادي الخروج بترجمات غير مفهومة بالنسبة للغة النص المستهدف و ثقافته و يحول دون اختلال عملية التواصل. أما إذا كان الأمر متعلقا بتصرف خارجي (Extrinsic Managing) فهذا يعني التدخل الأيديولوجي السافر في عملية الترجمة التي تصبح أداة لتوظيف النص المترجم خدمة لنزعات المترجم الشخصية أو الجهة المؤكدة للترجمة، و يمكن لهذا التدخل المقصود أن يتجسد في المستويات الصوتية و التركيبية و التداولية و الثقافية. و بالتالي سيخضع النص المترجم إلى مساومة الإيديولوجية التي يقصد بها فان دايك (Van Dijk 1996) الأسس التنظيمية التي تجسد مفاهيم اجتماعية مشتركة و تستطيع التأثير في معتقدات و مبادئ جماعة معينة بغرس مفاهيم و أفكار جديدة و توجيهها وفق مصالح معينة. و عليه فإن الترجمة تعد أنسب و سيلة للتفاوض الأيديولوجي تماما مثلما أشارت إلى ذلك تيموسكو (Tymoczko 2003).

و هنا تثار القضية الأخلاقية من جديد، في رأينا، لحد طرح التساؤل عن مفهوم ومضمون الأمانة الأخلاقية في الترجمة، و بالتحديد مسألة الحياد و أوجهه في سياق الترجمة الحالي الذي يفتح لجهات متعددة التصرف في النص المترجم لأغراض مختلفة. فالتصرف الأيديولوجي يهدف إلى تأثير ممنهج و مسطر وفق استراتيجيات لأفراد معينين، يسعون لربط اتجاهاتهم و قناعاتهم و أيديولوجيتهم بالهدف من الترجمة فيصبحون بهذا أطرافا مشاركة في تداعيات النص المترجم. و عليه، فما هو الحياد الذي ينبغي أن يكون عليه المترجم في هذه الحال؟

يعد هذا التصرف، أو بالأحرى التلاعب في افكار و قناعات النص الأصلي، عملا متعمدا في الواقع من قبل المترجم الساعي لتقديم نصه المترجم في شكل أو توجه فكري مختلف عن ذلك الموجود في النص الأصلي و هو تحديدا ما يجعل هذا النوع من التطويع على النصوص مذموما (فرغل 2015). و يرى بعض المنظرين في هذا الشأن أن النص المصدر هو نص مقدس من حيث الشكل و المحتوى (نيدا، 1964، كاتفورد، 1965، نيومارك، 1982، 1988). و عليه، فإنه من الأخلاقي عدم المساس بهذا الكيان و هذه الوحدة الأصيلة – كما وضعها المؤلف الأصلي. أي أنه يتعين على المترجم أن ينقل النص بأعلى درجة من الموضوعية واضعا كل مشاعره الشخصية و قناعاته على جانب من محتوى و طبيعة النص الفكرية؛ و هو بهذا يتعامل مع نص لا يتفق معه تماما مثل تعامله مع نص يتفق معه.

لا شك أن هذه النظرة الواقعية للترجمة أقرب للمثالية الأخلاقية في أمانة الترجمة، و لكن هل من ينادون إلى إشراك المترجم في عملية إنتاج النص الهدف يشذون بالضرورة عن المبدأ، على حد وصف نيومارك، و كاتفورد، و نيدا؟ أي أن تدخل المترجم في نواحي إيديولوجية ولو جزئية يعد عملا لا أخلاقيا في كل الظروف و كل الأحوال؟ ينظر الكثير من المنظرين من أمثال هونينغ nigöH (1998) و فيرمار Vermeer (2000) و شافنر ffneräSch (2003) أن الأمانة الترجمة تتجسد فعلا في النص الهدف، بل أن مهمة المترجم هي تجسيد للنص الهدف لا النص الأصلي. و هذا الموقف تعبر عنه شافنر (1998) صراحة عندما اعتبرت المترجم مؤلفا يتحرر من المحددات و القيود التي يفرضها المفهوم الضيق –على حد تعبيرها- للأمانة الأخلاقية و المقتصرة فقط على النص المصدر لوحده. و هو الرأي الذي ينتقد الترجمة التي كانت خادمة وانعكاسا شفافا للنص الأصلي و يجعل من ضرورة التدخل في النص الأصلي أمرا ضروريا (باسنت Bassnett، 1996).

في الواقع، يصعب في هذا المقام أن نحكم بصفة نهائية على أخلاقية التصرف الإيديولوجي من عدمها، لأن الظروف المرتبطة بترجمة النصوص قد تتغير كما أن البيئة المستقبلية للترجمة ليست دائما مواتية لظروف إنتاج النص المترجم. و يبقى الوقوف على مسألة التصرف الإيديولوجي و تأثيرها تستدعي تحريصا وتدقيقا يأخذ في حسبانته متغيرات و سياقات مختلفة تنتهي بتحديد الدوافع التي أدت إلى اللجوء أحيانا كثيرة إلى هذا التصرف عوض الالتزام الصارم بأصولية النص. فالأمثلة على التصرف الإيديولوجي كثيرة و متعددة و تعود إلى سياقات وظروف تختلف

كثيرا عن ما هو مثالي، فعندما نتناول مسألة القرار الأممي رقم 242 بعد حرب 1967 (فرغل، 2015) نجد
أن النص الإنجليزي قد جاء على النحو التالي:

“withdrawal of Israel armed forces from territories occupied in the recent
”conflict

ومن خلال التحليل نجد أن النص يحتمل قرائتين:

-الأولى تقول بانسحاب القوات الاسرائيلية من أراض عربية احتلت.

-و الثانية تقول بانسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلت.

فإذا كانت القراءة الأولى هي الأقرب لشكل و محتوى النص، فإن القراءة الثانية هي التي اعتمدت في الترجمة
العربية، لأنه من غير اللائق أن تعتمد القراءة الأولى في النسخة العربية و هي ضد مصالح دولها. و قد أدت هذه
الترجمة إلى تداعيات لا زالت أثرها إلى اليوم. إلا أنها بينت أثار التلاعب الأيديولوجي في النص الإنجليزي.
وعلى صعيد فإن التصرف الأيديولوجي في مثال مختلف من حيث السياق يكشف عن معان سلبية للغاية من
خلال المقارنة بين ترجمتين للآية السابعة من سورة الفاتحة وبالتحديد للعبارتين "غير المغضوب عليهم" و "ولا
الضالين"، وقد جاءت الترجمتان كالآتي:

Not (the way) of those who earned your Anger (such as the Jews), nor of those-
.who went astray (such as the Christians)

-Not the of those who earn your wrath, nor of those who go astray

يظهر من خلال الترجمة الأولى أن هناك تدخلا مقصودا لغاية أو نية في نفس يعقوب من خلال استبدال الإطار
العام الذي وجدت عليه العبارتان "غير المغضوب عليهم" و "ولا الضالين" بالإفصاح والتخصيص و هذا بإدماج
عبارتين داخلتين و هما (such as the Jews) و (such as the Christians)، إذ يمكن قراءة هذا التصرف
على أنه سعي لإظهار عداوة لليهود و تبيان الصراع المستمر مع المسيحيين. مع أن النص القرآني لم يأتي في هذا
الموضع بالذات بما قد يقرأ بأنه عداوة و صراع، كما أن غضب الله و وصف الضلالة لا يختص به اليهود و لا
المسيحيين فقط. و هذا ما تجنبته الترجمة الثانية التي احترمت الاطار العام للنص القرآني و لم تدخل في فح التأويل و
التوجيه الأيديولوجي الذي من شأنه أن يعمق في فجوة صراع الحضارات و صراع الأديان.

و لمعرفة عواقب و تبعات التصرف الأيديولوجي للترجمة ينبغي أن نستشهد بالمثال الذي قدمه فرغل و هو مستوحى من واقع صعب يجعل من الالتزام محفوفا بالمخاطر:

In an interview with Newsweek yesterday, the Israeli Defense Minister said that-
'the Palestinian suicides operations constitute the main cause for Israeli troops
.entering the cities in the west bank

نلاحظ أن النص الأصلي الوارد في الجريدة الناطقة باللغة الإنجليزية - الذي من المفروض أن يتعامل مع الخبر بالموضوعية التي يستحقها خاصة و أنه يقع في سياق معقد، يعتبر العمليات الفلسطينية بأنها عمليات انتحارية وفقا لما يلمبه عليه منظور الحياد الغربي تجاه القضية الفلسطينية عموما. و هو ما يظهر كذلك في استخدام الفعل التأطيري said الذي يستعمل لنقل خبر في صورة حيادية لا تستدعي الشك و لا الاحتمال. و لكن الوارد في النص المترجم لا يحمل السمات نفسها الموجودة في النص الأصلي لنجد ما يلي:

- ادعى وزير الحرب الصهيوني في مقابلة مع مجلة النيوزويك أمس أن العمليات الاستشهادية الفلسطينية هي السبب الرئيس في اجتياح قوات الاحتلال الصهيونية لمدن الضفة الغربية المحتلة.

إن الملاحظ في أول قراءة لهذه الترجمة هو أنها تستعمل التصرف الأيديولوجي لتبديل أفكار مستفزة للقارئ العربي مجملا، وتميل إلى القضية الشاغلة لتفكير و عواطف الجمهور العربي ككل. فقد غيرت العبارة الانجليزية Palestinian suicides operations إلى العبارة العربية العمليات الاستشهادية الفلسطينية و هي ليست الترجمة الصحيحة ما دام أن مقابل مصطلح suicide هي انتحار و ليست استشهاد. و الأكيد أن هذا التصرف في النص المترجم له دوافعه ناهيك عن كونه رد فعل لأفكار سوقت من خلال النص الأصلي، حيث سعت إلى إثبات حكم مسبق بالإرهاب على كل نشاط يندرج ضمن مشروع المقاومة. و بإرجاع الترجمة العربية إلى لغة النص الأصلي سنجد أثر التصرف الأيديولوجي شاخصا لدرجة أنه بدل ملامحه بصفة شبه كلية كما في المثال التالي:

In an interview with Newsweek yesterday, the Zionist war minister claimed that-
'the Palestinian martyrdom operations are the main cause for Zionist troops
.storming Palestinian cities in occupied west bank

في الواقع، إن هذه الأمثلة التي ذكرها محمد فرغل (2015) تؤكد ما ذكرناه آنفا حول صعوبة الحكم على أخلاقية التصرف الأيديولوجي بصورة واضحة بالرغم من أن عددا من المنظرين أصبح يراه ضرورة ملحة خصوصا أمام

حالات مشابهة للمثال المذكور أعلاه. المترجم مطالب في نظرهم أن يتدخل للنأي بالنص المترجم عن الهيمنة الفكرية للنص الأصل في ظل علاقته بالمتلقين (تيموسكو، 2003). و يبقى التصرف في المضامين و المحتويات مفهوما متقلبا بالنسبة للأمانة الأخلاقية في الترجمة، ففي حالات يمكن أن يضّرّ بعذرية النص و بتغيير وجهه بصورة سافرة و تشويهه لدواعي شخصية أو مصلحة، أحيانا يمكن له أن ينأى بالنص الهدف عن الكثير من الأفكار الموجودة في النص الأصلي و التي ترفضها مبادئ و مواقف الجماعة المتلقية للترجمة.

4. الترجمة و المهنة المتصلة بها : و سيلة لخدمة الأمم أم أداة طيعة لإخضاعها؟

إن المتصفح للتاريخ الطويل للترجمة يجد أنها كتبت صفحات مشرقة في الإنسانية ففضلها تعزز التلاحق الحضاري و نقلت علوم و خبرات كبيرة بين الأمم و الأجيال المتعاقبة. كما ساهمت الترجمة بفضل جانبها التدويني من حفظ إرث كبير كان ليندثر إذا بقي منحصرا في حضارة دون سواها. و مثال ذلك هو توصل الإنسان بمخطوطات تاريخية كتبت بلغات ضاربة في التاريخ و تمكنه من ترجمتها و معرفة محتوياتها لدرجة أن تفرق محتواها التاريخي على لغات العالم المختلفة بصورة لا تدع أي احتمال لضياعها أو زوالها.

و لكن و على الرغم من الوجه الحضاري للترجمة بوصفها عملية تواصل بين الشعوب و الحضارات فهذا لا يعني أنها بمنأى عن كونها تتأثر بالصراع و الصدام الذي يميز الطبيعة البشرية. إذ لا يمكن أن ننفي أن الترجمة خدمت و في حالات كثيرة عدم الاتساق في العلاقات الانسانية بين الشعوب و الحضارات، أي بين أمم طامحة في الهيمنة و التوسع على حساب أمم مستضعفة لا تملك سبل الدفاع عن نفسها و الاستمرار في عالم مادي يكرس السيطرة للقوي على حساب الضعيف. هنا بالذات تكون الترجمة متورطة أخلاقيا بتعزيزها لعلاقة السيطرة و الهيمنة و السعي في إطالتها و الحفاظ عليها (فينوتي 2010، Venuti).

فلولا الدور الفعلي للترجمة في نقل النصوص التأثيرية إيديولوجيا بدءاً بالنصوص الدينية و القانونية و التعليمية ما كان لدول استعمارية أن تخضع مستعمراتها لسنوات طويلة جدا في ظل مقاومات شرسة. كما لم يكن للهيمنة الجديدة، بعد الاستعمار التقليدي، أن تنجح، لو لم تربط مصالحها العابرة للحدود بالترجمة لترسيخ الهيمنة والحد من استقلال الدول وانعاقها من أشكال التبعية الثقافية و العلمية و إلى ذلك من الأمثلة الحية في شكل يحاكي

الاستعمار القديم على شاكلة الشركات العابرة للحدود (corporation transnational) كالشركة البريطانية للهند الشرقية (فينوتي، 2010) .

و لعل أن أكبر دليل لاستغلال الترجمة في تكريس تلك الهيمنة و السيطرة الفكرية لدول و منظومات على حساب أخرى هو عدم الاتساق المسجل في حجم التبادلات الفكرية و الثقافية، إذ تشير أنماط الترجمة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى التفوق الشامل لثقافة اللغة الإنجليزية، حيث صارت أكثر لغة يترجم منها في العالم (لوفقيست 1996، Lofquist). و لكنها تتجاهل الترجمة من الثقافات الأخرى التي قد لا تقل عنها أهمية لأن سياق العلاقات معها أصبح محكوما بالصراع حول التسيد والسيطرة. إذ تسعى دول كبيرة و عريقة على الاستثمار في الترجمة من خلال مشاريع هائلة تشمل دور النشر العالمية، و الصناعة السينمائية المدبلجة و غيرها من الأوجه الكبيرة الساعية حسب فينوتي (2010) إلى عوامة هوية وشخصية المهيمن في نموذج للاقتداء و الاتباع من قبل المسيطر عليه ولو كان ذلك بلغته الوطنية. تماما مثل ما قامت به الكولونيات القديمة عندما استعانت بالترجمة لتوصيل النصوص الدينية و التبشيرية و القانونية للقوميات الخاضعة بعدما تمكنوا من دراسة لغاتها الوطنية. فخير دليل نستقرؤه من التاريخ هو ما قامت به الحملات البريطانية في نيجيريا (بابالولا 1971، Babalola) حيث ترجمت الكتاب المقدس وتعاليم المسيحية إلى لغات الهوسا واليوربا والإفيك المحلية. ولم تكن في هذا وحسب، بل تضمنت تلك الترجمات تكريس تفوق اللغة الإنجليزية على تلك اللغات المحلية من خلال الإبقاء على الكلمات والمصطلحات المستعصية على فهم القوميات المحلية، ما كان يعني استقطاب تلك القوميات لتعلم الإنجليزية التي صارت تتضمن بالنسبة لهم معارف أسمى ومفاهيم أوضح بكثير مما هو موجود في لغتهم المحلية.

ويضرب فينوتي (2010) مثلا صارخا لأشكال التوظيف غير الأخلاقي للترجمة، عندما ذكر ترجمة السير وليام جونر الشخصية المرموقة في بريطانيا والقاضي المعتمد في شركة الهند الشرقية للنصوص القانونية السنسكريتية بطلب من ذات الشركة التي شككت في مصداقية المفسرين الهنود (نيرانجانا 1992، Niranjana). حيث وجه ترجمته على حسب املاءات و مصالح تخدم بريطانيا مستغلا احترام و عاطفة العمال و الحرفيين الهندوس تجاه قيم مانو التي تعتبر تجسيدا للعدالة. و لنا أن نتخيل مدى المكاسب و الارباح التي حققتها الشركة البريطانية من خلال استغلال و توجيه الترجمة لتضليل العمال الهنود. و قد مثل النمط الاستغلالي في ترجمة ويليام جونر نموذج يقتدى به

عند أكاديميين ومترجمين مستشرقين بريطانيين تمكنوا من إقحام اللغة الإنجليزية في التعليم في الهند، وقد تم لهم ذلك بعد أن ترجم هؤلاء النصوص الهندية لدرجة صار فيها اطلاع الطلبة الهنود على تلك النصوص لا يكون إلا من خلال النصوص المترجمة من قبل المستشرقين.

إن اطلاعنا على صفحات من التاريخ يكشف عن مدى تشابه الأمس باليوم في استعمال الترجمة من أجل التأثير تارة و التشويه تارة أخرى خدمة لأغراض و مصالح مادية و مكاسب على الأرض. و لكن هذه المساعي لاستغلال الترجمة لم تكن من القوى العظمى لوحدها فقط، بل كان الاستناد عليها أيضا من الدول الوطنية المستقلة حديثا في إفريقيا، واسيا الوسطى و الشرق الأدنى وكذا الدول التي اختارت لنفسها نمطا مناقضا للنموذج الغربي الرأسمالي. إذ حاولت معظم هذه الدول أن تستفيد من الترجمة حسب ما تمليه عليها مخططاتها السياسية و مشاريعها القومية لإخضاع نخبها وشعوبها فكريا . فنجد مثلا أن دولا مثل أندونيسيا حاولت حكوماتها المتعاقبة لفترة من الزمن على تحشيع الترجمات الغربية للأعمال الأدبية الرومانسية من أجل منافسة أو بالأحرى إضعاف المد الراديكالي المهدد لمصالح السلطة آنذاك (فينوتي، 2010). ومن بين ما ترجم إلى اللغة الأندونيسية مثلا نجد روايات ريدير هاجرد التي تخدم مساعي الانفتاح على الغرب، التي تصور حاجة بعض القوميات الملونة كالأفارقة للبيض حتى يهذبوا همجيتهم ويأخذون بيدهم إلى التحضر والتمدن (دافيد 1995، David).

كما استعملت مصر في فترة الخمسينات الترجمة لنقل الأدب الثوري القومي الاشتراكي، وهذا لتحفيز النخبة وتحضيرها لتبني أفكار القومية التي شهدت القضاء على الملكية الاقطاعية ونشر المد الثوري في المنطقة العربية وتزعمها، في خطوة مناهضة للسائد في ذلك الوقت. وكذلك شجعت الجزائر على ترجمة الأدب الثوري الاشتراكي ما ساعد على ظهور أدباء بارزين خدموا لفترة معتبرة التوجه العام للجزائر المستقلة حديثا آنذاك والساعية للانعتاق من كل أشكال الجهل والفقر والتخلف و التبعية و الاختلاف.

أما اليوم ومع تطور الوسائل التكنولوجية فقد زادت نجاعة الترجمة في الترويج لأدب خلق قارئنا مفتونا تماما بالقيم المهمة على حد لورانس فينوتي.

5. عثرات المترجمين و زلاتهم من المنظور الأخلاقي:

إن السياقات التي ذكرناها سابقا لحالات مأخوذة من وقائع تاريخية دوّنها باحثون كثير، لهي تأكيد على انزلاقات خطيرة بدرت من مترجمين، و خضعت لسلطات متداخلة وأهداف معلنة وغير معلنة. و الأكيد أن صفحات التاريخ لا تخلوا أبدا من تلك الفضائح والعثرات – و إن كان مصطلح العثرة ينم عن هفوة لا إرادية أو عن حسن نية شائها خطأ غير مقصود. و الأكيد أن هذه الانحرافات و التصرفات التي تمس بالنص الأصلي و تغير ملامح النص المترجم لا تمس بالدرجة الأولى من وجهها الترجمة لغايات و مكاسب مادية و إيديولوجية، بل المتضرر الرئيسي هو مهنة الترجمة و مصداقيتها التي تدفع بباحثين كثير لوضعها تحت مجهر المساءلة الأخلاقية. و المثال التالي يؤكد هذه الرؤية بنص عربي و ترجمتين إنجليزيتين:

- في شهر رمضان المبارك ينهض المسلمون من نومهم في ساعة متأخرة من الليل، أو قبيل الفجر لتناول وجبة السحور التي تعينهم على صيام يوم طويل قبل الإفطار عند الغيب. و بعد تناول السحور، يتجه معظم الرجال إلى المسجد لأداء صلاة الفجر.

In the fasting month of Ramadan, Muslims awake late at night or just before dawn to-1 have a meal called *Al-Sahur*; thus preparing themselves for a long day before breakfast is permitted at sunset. Having had this meal, most of men make for the mosques to perform their prayers

In the fasting month of Ramadan, Muslims strangely awake late at night or just before- 2 dawn to stuff themselves with food that could last for a tediously long day before a meal is permitted at sunset. Still worse, most men having supplied themselves with enough ammunition (food), make for the mosques to perform their dawn ritual

نلاحظ في الترجمة الأولى تقيد المترجم بأصولية النص و احترامه من ناحية المفردات و التركيب. كما أنه التزم بحياذ أخلاقي انعكس في جودة الترجمة الأمينة و التي لا تبحث عن مقاصد غير نقل النص. أما في الترجمة الثانية فالفرق شاسع حيث تضمنت الترجمة عبارات و تراكيب تبين خطابا ليس فقط معاديا و لكنه يحمل احتقارا و ازدراء لا ينم إلا عن تبني المترجم مفهوما سلبيا للإسلام كرسنه عبارات عدائية و عنصرية تجاه كل ما يرمز للدين الإسلامي.

سقطه أخرى من سقطات الترجمة الموجهة و غير الأخلاقية تتمثل في كيفية ترجمة القنوات التلفزيونية الأمريكية (CNN, ABC, FOX NEWS) للعبارة الاستفتاحية التي قالها أسامة بن لادن في حوار صحفي أجراه مع قناة الجزيرة (فرغل، 2015) :

-إن الحمد لله نحمده و نستعين به ونستغفره و نستعيز به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا...أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله ... و قد أتت الترجمة في الشكل الآتي:

Thanks to God, he who God guides will never lose. And I believe that there is-
only one God. And I believe there is no prophet but Mohammed

إن الملاحظ لهذه العبارة المترجمة يجد أنها مشوهة عن قصد، في محاولة لتصوير جانب متعصب مزعوم في الإسلام. إذا تحمل هذه العبارة دلالات خطيرة جدا تنم في مجملها عن حكم مسبق يضع الإسلام في مقام الشر المحقق على كل الحريات الدينية و العقائدية، بينما نجد في المقابل ترجمة حيادية و أمينة تسعى لنقل مضمون ما قاله أسامة بن لادن بغض النظر عن انتماءاته و ميولاته الدينية و السياسية و هي الترجمة التي قدمتها و كالة الأنباء Associated: Press

I bear witness that there is no god but Allah and that Mohammed is his-messenger

يبدو من غير المنطقي أن تجهل قنوات أمريكية بذلك الحجم و الشهرة ترجمة عبارة استفتاحية بسيطة و لكنها تمثل بعدا روحيا بالنسبة للعرب المسلمين كافة، كما أنها خالية من أي تهديد أو تعصب مزعوم.

و أخيرا، و ليس آخراً، نذكر مثالا يذم عدم الأخلاقية في توجيه الترجمة حتى و إن كان لصالح انتماء لوطن أو قومية و هو ترجمة لرواية "الأحد الأسود" Black Sunday () للكاتب توماس هاريس (Tomas Harris) حيث يذكر الكاتب الأصلي في أحد فصول الرواية ما يلي:

- Najeer was commander of the "Black September". He didn't believe in the concept of "Middle East Situation". The restoration of Palestine to the Arabs . would not have elated him. He believed in Holocaust, the fire that purifies

و قد جاءت الترجمة في شكل مغاير تماما لما ذكر الرواية الأصلية بشكل يوحي أنها رواية مختلفة:

- كان حافظ نظير وهو الأمر الحقيقي لجهاز رصد فتح يؤمن بحق استرجاع فلسطين خالصة للعرب، والانتقام من كل الذين عذبوا شعبه طوال السنين الماضية.

تبين هذه الترجمة مدى التصرف السافر في مضامين ومحتويات النص الأصل لدرجة التغيير التام لوجه النص المترجم. إن تعاطف المترجم مع عمق القضية، لا يعني أن يستباح النص الأصلي بهذا الحجم الكبير جدا من التدخل الأيديولوجي، وتحول مواقف النص الأصلي تجاه رأي المترجم. فهذا من قبيل التظليل والخداع الذي لازم الترجمة في محطات كثيرة ولا زالت عقول وأقلام المترجمين تلتجأ إليه في لتحقيق مواقف قد تخدمهم و إبعاد أفكار تناقضهم وتنافيهم.

6. الخاتمة

إن المسألة الأخلاقية في الترجمة موضوع عميق جدا، ومحاولة الوقوف عليه تستند بالأساس إلى دراسات عميقة بين الماضي والحاضر. ويبقى الحكم على الانحرافات والانزلاقات في الترجمة دائما ما تتخلله تجاذبات ومصالح من المفترض أن لا تدخل في الدفاع عن الحالات التي كانت الترجمة فيها متواطئة. فتلك التجاذبات والصراعات والمصالح هي التي أوقفت تنفيذ حكم التاريخ على الزلات والعتثرات الفاجرة للترجمة في حق نصوص وأفكار وشعوب وأمم بأسرها. وهي المصالح والصراعات نفسها التي تعيد تشغيل الترجمة بمفهوم أوسع وبوسائل أكبر وأضخم لتكرار مشاريع الأمس الطامحة للتسيّد والسيطرة والحصول على المكاسب المادية و الروحية و إن اختلفت الأشكال فالمضمون واحد. وبين هذا وذاك، نذكر مرة أخرى أن الالتزام بالأخلاق السامية والعمل بالأخلاقيات الراقية التي تستمد نورها من النوايا الحسنة، هو خير سبيل للحفاظ على مصداقية مهنة كانت نبراسا وجه أمة لطرق التلاقي والتعارف المبني على الاحترام والعدالة وتقبل الغير والمساواة أمام كل فرص الحياة. فلا يمكن للترجمة بهذه المنطلقات أن تنزلق أو تزل عن طريقها القويم لحساب جهة أو مصلحة مادية أو توجه فكري ما. ويبقى للترجمة أن تلتزم الحياد في النقل، ولتدع التدخل للقراء والنقاد حتى يردوا لتنقل عنهم ما ردوا، فهكذا يكون حوار الحضارات المتوازن.

7. قائمة المراجع:

- أحمد، فؤاد عبد المنعم (2011، جانفي، 19)، أخلاقيات العمل في الإسلام. الملتقى الفقهي:
<http://fiqh.islammessgae.com/NewsDetails.aspx?id=1344>
- الحارثي، مسفر إلهام (2019) أخلاقيات الترجمة من منظور إسلامي. المجلة الإلكترونية الشاملة، ع: 18، إ
(2) ص: 01-29.
- فرغل، محمد (2015) التصرف الإيديولوجي في الترجمة: مصطلحا و مفهوما. مجلة نقد و تنوير العدد
(3)، ص: 144-170.
- فينوتي، لورانس (2010) فضائح الترجمة (تر: عبد المقصود عبد الكريم)، القاهرة، المشروع القومي للترجمة.
- Babalola, A. (1971), “ A Survey of Modern Literature in Yoruba, Efik, and Hausa language, In B. King (ed), introduction to Nigerian literature, Lagos: University of Lagos and Evens Brothers LTD.
- Baker, M. (2006), Translation and conflict: a narrative account. London and New York: Routledge.
- Bassnett, S. (1996), "the Meek or Mighty: reappraising the role of translator", in Alvarez and Vidal (eds), *Translation, Power, and subversion*, (vol.8 pp10-24). Philadelphia: Multilingual matters.
- Catford, J.C. (1965), A linguistic theory of Translation: An essay In Applied Linguistics, London, Oxford University Press.
- David, D. (1995), Rule Britannia: Women, Empire, and Victorian writing, Ithaca, N.Y: Cornell University Press.
- Harris, T. (1975), The Black Sunday, New York: Bantam Books.
- Honing, H.C (1998), “position, Power, and practices: Functionalist Approaches and Translation Quality Assessment”, In C. Schaffner (ed), Translation and Quality (pp.9-34), Philadelphia: Multilingual matters.
- Khan, M. and Hillali, T. (1999), The noble Qur'an: the interpretation of the meanings of the noble Qur'an in English language. Saudi Arabia: Darussalam publishers and distributors.
- Lofquist, W. (1996), “International Book title output: 1990-1993” In D. Bogart (ed), the Bowker Annual Library and Book Trade Almanac, New providence, N.J: Bowker.
- Newmark, P. (1982), "The Translation of Authoritative Statements: A Discussion", Translators' Journal, Vol.27, No. 4, pp. 375-391.
- Newmark, P. (1988), A textbook of translation, London: Prentice Hall.

-
- Nida, E. (1964), Toward a science of Translating with Special Reference to Principles and Procedures involved in Bible Translating, Leiden: E.J. Brill.
 - Niranjana, T. (1996), “ *siting translation history, poststructuralism, and colonial context*, Berkely and Los Angeles: California press.
 - Schäffner, C. (2003) "Third Ways and New Centres - Ideological Unity or Difference?" in Calzada-Pérez, M. (Ed.), *Apropos of ideology*, (pp.23-41), Manchester, St. Jerome.
 - Tymoczko, M. (2003), “Ideology and the position of the translator”, in Calzada-Pérez, M. (Ed.), *Apropos of ideology*, (pp.181-208), Manchester, St. Jerome.